QADAYA 19-5-2012 5/19/12 10:22 PM Page 1



هوامش

عبدالله الأيوبي Ayoobi99@gmail.com

# الاتحاد مطلب وضرورة

لا تختلف شعوب دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي على مطلب الهدف الاستراتيجي الذي يمثل حلما من أحلام مواطني دول المجلس والفضاء العربي، بشكل عام، حول أهمية الدفع بالعلاقات العربية العربية وبعلاقات دول مجلس التعاون الخليجي مع بعضها بعضا إلى صيغ أكثر تطورا من التعاون، والانتقال إلى مرحلة متقدمة تلبي الطموحات والأحلام التاريخية التي عششت في وجدان أبناء الوطن العربي منذ حركة النهوض القومي التحرري التي تعرضت لمحاربة شرسة من القوى الاستعمارية والمتعاونين معها لمنع والحيلولة دون تحقيق هذا الهدف القومي المشروع، بل ذهبت هذه القوى والمتعاونون معها من الحكومات العربية إلى العمل باستماتة من أجل تكريس التقوقع القطري وإضعاف الشعور والانتماء القوميين لدى الشعوب العربية.

ومنذ تأسيس مجلس التعاون الخليج في ٢٥ مايو من عام ١٩٨١ كانت شعوب دول المجلس تطالب باستمرار بتطوير منظومة المجلس والارتقاء بها إلى صيغ تلبي طموحات وأماني أبناء الدول الست التي يتكون منها المجلس، فالشعوب الخليجية وقبل تأسيس مجلس التعاون الخليجي كانت في تداخل أسري ونسجت علاقات تاريخية، ودائما ما كان المواطن الخليجي يشعر بعدم الغربة حين ينتقل من وطنه الأم إلى دولة خليجية أخرى، وبالتالي فإن المقومات الشعبية لتطوير مؤسسات مجلس التعاون والانتقال بها إلى درجة أعلى من «التعاون» الذي ميز عمل المجلس منذ تأسيسه حتى الآن، هذه المقومات متوافرة.

ورغم التقلبات السياسية التي شهدتها دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية بشكل عام، وتميز العلاقات بين الحكومات والقوى المجتمعية السياسية في دول المجلس بحالات من الصدام، فإن هذه القوى لم تقف يوما ضد تطوير منظومة مجلس التعاون الخليجي، بل كان مطلب الوحدة في أجندات هذه القوى يمثل ركنا أساسيا من أركان برامجها السياسية، ومن هنا فإن مطلب الاتحاد، إن لم يكن الوحدة الاندماجية الكاملة، ليس محل تجاذب أو خلاف، بل كان حلما شعبيا نريده أن يتحول إلى منطلق وقاعدة نحو الوحدة العربية الشاملة.

في الوقت الحاضر تشهد ساحة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي حراكا رسميا نحو تطوير منظومة المجلس والتهيئة للانتقال من حالة «التعاون» التي رافقت عمله أكثر من ثلاثة عقود إلى شكل من أشكال الاتحاد تماشيا مع مقترح الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية الذي أطلقه في قمة الرياض الأخيرة، ونظرا للتطورات السياسية غير الطبيعية التي تشهدها المنطقة العربية كلها بما في ذلك منطقة الخليج العربي فإن هذه الدعوة من حيث المبدأ، لاقت ترحيبا في الأوساط الشعبية وإن اختلفت هذه الأوساط في آلية تحقيق هذا الحلم الشعبي، من منطلق الحرص على تحقيقه وليس مجرد ردة فعل عابرة بسبب ما يحيط بالمنطقة من مخاطر.

فالصيغة الاتحادية أو الوحدوية بصفتها حلما لدى شعوب دول مجلس التعاون الخليجي والشعوب العربية بشكل عام، فإن تحقيق ذلك وجعله حقيقة قابلة للحياة وليس مجرد سلعة في سوق المواقف السياسية التي تغطي سماء المنطقة الخليجية في الوقت الحاضر، فإن المشروع بحاجة إلى وضع قواعد صلبة يتوكأ عليها بنيان بحجم الدولة الاتحادية أو الدولة الواحدة، فمثل هذه المشاريع العملاقة لا تنجز بمجرد أن ثورة الحماسة في عروقنا أو ردة فعل على ما نعتبره تهديدا خارجيا لأوطاننا، فمثل هذا التهديد لم يتوقف، بل ان دولا عربية وقعت ضحية وقدمت (برفع القاف) لقمة سائغة إلى الأعداء الذين يمثلون مصدر التهديد الحقيقي لدولنا وشعوبنا.

فالدول التي تسعى وتعمل على تكريس نفوذها في دولنا الخليجية والعربية، سواء كانت إقليمية أو غير ذلك، هي التي جاهدت على مدى عقود للحفاظ وتكريس حالات التجزئة وإضعاف اهتمامات شعوبنا بقضاياها القومية والقطرية، ولنا أن ننظر إلى قضية فلسطين التي شكلت بالنسبة إلى الوجدان الشعبي العربي جرحا نازفا منذ نكبة ٤٨ حتى الآن، فهذه الدول عملت بكل ما تملك من قوة ووسائل لتغييب القضية الفلسطينية عن الوجدان الشعبي وقد نجحت كثيرا في ذلك، وهي سوف تستمر لتكريس التقوقع القطري سواء على مستوى أقطار دول مجلس التعاون الخليجي أم على المستوى القومي العربي.

كلنا يدرك أن قوتنا تكمن في اتحادنا، سواء جاء على مستوى مجموعات دول، كما هي حال مجلس التعاون الخليجي، أم اتسع نطاق هذا الاتحاد ليشمل دولا من خارج الإقليم الخليجي، وشعوبنا بحاجة إلى مثل هذا الاتحاد الذي يعزز من قوتها وقدرتها على مواجهة المخاطر الخارجية التي تهدد مستقبل أوطانهم وشعوبهم، ونحن بحاجة إلى اتحاد يعزز من المكاسب السياسية والحقوقية والاجتماعية والاقتصادية لشعوبنا وينقلنا إلى مراحل متقدمة تتماشى والمعايير الدولية في العديد من الجوانب، لأن أي اتحاد لا يلبي طموحات الشعوب، لن يكتب له النجاح.

أفق

عبدالله خليفة

# ولاية الفقيهِ ضد الليبرالية

الاجتهاداتُ الفقهيةُ المسايرة للعصر المطورة للناس، موجودةٌ وتتشكل، لكن كل فكرة حين ترتبط برأسمالية الدولة الشمولية تعجز عن إنتاجِ التحليل واكتشاف التطور الديمقراطي.

رأسماليةُ الدولةِ فيما قبل الشمولية وما بعدها، يمكن أن تكون إعادة لشعب ما في إنتاج التطور الديمقراطي المعيد تشكيل النظام التقليدي.

فرأسمالية الدولة عنصرٌ اقتصادي محايد يمكن أن يخضعَ لتوجهات سياسية متعددة ومتناقضة.

لكن حين تصبح ولاية الفقيه أداة تعبير سياسية عن رأسمالية الدولة الشمولية، فإن عناصر الإسلام النضالية من جهتي الماضي والحاضر، وعناصر الليبرالية من جهتي الحاضر والمستقبل، تتجمد وتُطرد.

لابد لاجتهادات الفقهاء من مراكز متعددة تغدو مطورةً لحال المسلمين والمواطنين عبر التنوع والاجتهاد والحرية والعقلانية لكنها حين تصبح ولايةً واحدة مهيمنة متصاعدة متشابكة مع رأسمالية دولة تغدو دكتاتورية، ويتوقف الاجتهادُ والتنوع.

العناصرُ المتجمدةُ في الشرع حول تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عديدةٌ، ولكنها تتغير بفعل نشاط الوعي الديني المتفهم للتطور، والمسايرِ للحضارة الحديثة وهي تغدو ديمقراطية، وتعبرُ العناصرُ المتجمدة عن غياب تغيير أحوال المسلمين في الأزمنة الغابرة، وحين تظهر دولٌ فيها أشياء من التفتح والتعدد، فإن هذه العناصر يُعاد النظرُ فيها حسب مدى تطور هذه الدولة ومسايرتها للتحولات الديمقراطية العالمية.

مع نشوء سلطة دكتاتورية منذ عهد الشاه الأب، فإن عناصر الديمقراطية للثورة المشروطية على سبيل المثال تُنحى جانباً، وتُؤخذُ العناصرُ الألمانية الفاشية في الإدارة، ويتم الحفاظ على البناء التقليدي الديني الاجتماعي المحافظ، وتؤدي الشمولية الحكومية وترددها بين التقليد والحداثة، بين الإقطاع والرأسمالية الحديثة، إلى نشوء دكتاتوريتين: سياسية حكومية فوقية تفقدُ ركائزَها بين الناس، ودينية تتوغلُ بين الشعب وتسيطر عليه عبر أفكاره العتيقة وممارساته الشعائرية.

تغدو ولاية الفقيه معتمدةً على عنصرين كبيرين: ماض محافظ متخلف، وحاضر حكومي شمولي، يتصاعدُ في أدوات احتكار السلطة والاقتصاد والجيش.

ولاية الفقيه تقومُ بطرد العناصر الليبرالية والديمقراطية على مختلف المستويات، فالاجتهاداتُ الفقهيةُ الموجهة لتطوير أحوال الفلاحين والنساء والعاملين والحريات تتوقف، فالقطاع العام يتحول لخدمة الرأسماليين الحكوميين الذين يوجهونه حسب طرائق أحزابهم، فإذا كان هو الموسوي فإنه يقولُ اشتراكيةً إسلامية، حيث يحتكرُ الموظفون الكبار طرائقَ التوجيه، وعبر توسيع اقتصاد الحرب والعسكرة، على أساسِ وجودِ التهديد للقومية من قبل العدو، الذي يُهزم، لكنه يستمر في البقاء بصور ايديولوجية موهومة، لعدم توسيع الملكيات الخاصة ونشر الليبرالية والديمقراطية وتحويل رأسمالية الدولة إلى الديمقراطية الوطنية، ثم تصبح هذه أداة الدولة المتصاعدة حوتاً يأكلُ الموسوي وجماعته، مثلما أكلَ الشيوعيين التابعين لولايةِ الفقيه، مثلما أكلَ المَلكيين، لكن الحوت لا يشبع، وهو غير قادر على تطوير العناصر الديمقراطية في الماضي والحاضر، فيعتمد على الأساطير والخرافات ونشر التعصب والحروب.

الفقيه الديني العقلاني يحتاج إلى الليبرالية والحريات على أساس أن تكونَ هذه رزقه المستقلَ عن سيطرة الدول، فيستطيع أن يفهم النصّ الديني تبعاً لحاجات المسلمين المتطورة دوماً، لا أن يتعسف تفسيره ويخضعه للسيطرات المختلفة، ولكن الفقيه حين يعادي الحريات ويقفز في معاشه من دون جهد، باعتماد أداة الدولة التي جعلته حاكماً أو متنفذاً، يغدو معادياً للعقلانية، ومروجاً للخرافات، وينشرُ بين العامة التخلف، ويبعدهم عن المقاربة بين الجنسين والمشاركة الأسرية الخلاقة، ويحولُ رموزَ الإسلام المناضلة المعتمدة على عقولها وعملها وتجارتها الحرة وديمقراطيتها إلى أيقونات وكائنات غيبية.

لهذا لا يستطيع أن ينمي الديمقراطيةَ كتتويج لليبرالية والاشتراكية، أي كدولة وطنية تجمعُ اليمينَ المنتج والطبقات العاملة بتعاونها وصراعها ضمن المؤسسات، لهذا يوسعُ دكتاتورية القومية الطائفة الموحدة التي لا يوجد فيها اختلاف، فلا توجد فيها ديمقراطية، وأي من يأخذ بفكرته يكرسُ النموذج نفسه، ففي خارج عالم ولاية الفقيه لابد أن تقبلَ الشعوب الأخرى بها، وتغدو شعاراتُ الديمقراطية والمقاومة تكتيكات سياسية لا تستطيع أن تخفيَ الجوهر المَفضوح كارثةً بعد أخرى.

هي الإمبراطورية الفارسية وقد لبستْ بذلةً عسكرية وتمشي عبر السفن الحربية والصواريخ والحرائق، والجمهور المخدر، غير قادرة على المراجعة وإعادة النظر الديمقراطية الحقيقية.

ولا شك أن الشعوب المجاورة لها تعيش في حالات قلق وعذاب مستمرة، لا تدري متى الكارثة ومتى الانقاذ، ومتى الخروج من هذه الدائرة المغلقة.

AbdullaKalifaboflasa@yahoo.com

## من مفكرة سفير عربي في اليابان

# فن الأسطورة ووحدة اليابان

بقلم: د. خليل حسن *

تصف المؤرخة البريطانية كارن ارمسترونج الأسطورة بأنها نوع من الفن الذي ينظر الإنسان من خلاله لما وراء حوادث التاريخ ودراسته. وقد كانت خبرة السمو لما وراء الواقع المادي رغبة ونشوة إنسانيتين دائمتين، كما يرفع الإيمان الديني الإنسان لهذا السمو النفسي المترافق بنشوة روحانية تطير بالإنسان لما وراء واقعه الحياتي، وحينما فقد البعض نشوة الإيمان في واقعه المادي توجهوا للإحساس به من خلال الأدب والشعر والموسيقى والرياضة، والأسطورة هي كالقصة والأوبرا والباليه، تصور يمجد عالمنا المنقسم والمأساوي، ويساعدنا على أن نتأمل احتمالات وتساؤلات جديدة، وقد يؤدي لاكتشافات علمية وتكنولوجية مهمة، فالاسطورة هي حقيقة ليس لان وقائعها حقيقية بل لأنها مؤثرة في إعطائنا العمق للنظر للواقع المادي والاستلهام للإبداع لبناء مستقبل أفضل، والاسطورة هي دليل يوجهنا للتعامل مع الحياة بتناغم وغنى روحيين جميلين، كما تساعدنا على اكتشاف خبايا العقل الإنساني الذي لا يمكن إدراكه وهي بداية لعلم النفس، فقصص الأبطال والإلهة الموجودة ما وراء عالمنا التي تحارب الجن والأشباح أبرزت خفايا سيكولوجية الإنسان وعلمتنا كيف نتعامل مع أزمات الإنسان النفسية الداخلية.

وقد لعب فن الاسطورة دورا مهما في المجتمع الياباني وربط الشعب الياباني بدولته وإمبراطوره الذي تحول مع الزمن لرمز مقدس لوحدة البلاد، فقد صدر في عام ١٧١٥ كتاب لكاهن «ديانة» الشنتو اليابانية، ماسوهو زانكو، بعنوان «المرأة المتكاملة لعملية الجنس»، يقول الكاتب فيه: «التفاعل الجنسي بين المرأة والرجل هو جزء من تناغم الأنوثة والذكورة وهو طاقة الكون الأساسية الدائمة فالرجل والمرأة يشكلان قطعتين متطابقتين لا تفرق بينهما الدرجات». ويؤكد الكتاب قدسية الجنس في ديانة الشنتو، وتمثل عملية الجنس في الأسطورة اليابانية بداية الخليقة بتزاوج إلهي اليابان ازنامي وازناجي. وتعتبر عملية التزاوج الجنسي هي نوع من الاحتفال ببداية أصل اليابان المقدسة، وقد وصفت حكاية الكوجيكي تفاصيل هذه الاسطورة اليابانية، ويعتبر هذا الكتاب من احد أقدم الكتب التاريخية اليابانية الموجودة اليوم ويعطي صورة مفصلة عن بدء تاريخ اليابان، كما يجمع التاريخ مع الاسطورة ويسجل صورة لبلاد اليابان القديمة ومعتقداتها منذ عام ٦٦٠ ما قبل الميلاد، وقد كتبه السيد ياسومارو على لسان الرجل ذي الذاكرة الفذة السيد هيدا نوار، وقدم للديوان الامبراطوري في عام ٧١٢، ويحترم الشعب الياباني هذه القصص والأساطير، كما أن آلهة هذه الأساطير لها معابد يزورها الشعب الياباني بانتظام للتبرك والدعاء، فهناك ثمانون ألف معبد للشنتو، فمثلا معبد الهة الشمس يزوره نحو ستة ملايين مواطن ياباني سنويا.

وتصف قصة الكوجيكي بدء الخليقة بانشطار كتلة جرمية فصلت السماوات عن الأرض وخلقت بينهما أوائل آلهة اليابان. ويبدأ الكتاب بوصف أسطورة ولادة ثلاثة من آلهة السماوات العليا وهم: إله السماوات والمخلف لالهة الإعجاز والمولد لالهة الاعجاز، ومن الجدير بالذكر أن الأسطورة اليابانية لم تحدد جنس هذه الآلهة. بعدها برزت من الارض نبتة صغيرة تشكلت منها آلهة أمير الأرض والزرع وآلهة الجنة والخلود. ويعتقد شعب اليابان من خلال عقيدة الشنتو أن روح الإنسان لا تموت بل تبقى أبدية تحوم حولنا في البيوت والجبال والأنهار والمعابد. كما أن بعض هذه الأرواح تتحول إلى آلهة الكامي، كإمبراطور عهد الميجي، الذي حول البلاد إلى قوة اقتصادية مصنعة.

ويصف الكتاب أسطورة ولادة سبعة من الآلهة المختصين بالأرض وهم: آلهة الأرض الخالدة والخصبة وطين الأرض والسيدات والنطفة والحياة وسيدة المكان العظيم والتكامل الخارجي وسيدة الرعب، وتلتها ولادة اله الذكر المضيف ازناجي والأخت الصغيرة الهة الأنثى المضيفة ازنامي. وتبين الأسطورة في فصلها الثالث كيف اجتمعت آلهة السماوات وأمروا الإلهين ازناجي وأزنامي بتزاوجهما لولادة ارض اليابان. وقد قدمت لهم الآلهة السهم السماوي المليء بالمجوهرات، فقاما بدفع السهم وتدويره في ماء المحيط المالح وهما يطوفان على الجسر السماوي مما ادى لتبلور الملح تدريجيا وترسبه وتحوله إلى جزر اليابان.

وتستمر أزنامي بتكملة ولادة باقي آلهة الطبيعة مثل آلهة الجبال والأنهار والغابات والأمواج. ويصف الكتاب كيف احترقت الاجهزة التناسلية للإلهة أزنامي بعد ان ولدت إلهة النار فمرضت واستلقت لتستريح وحينها بدأ مرضها المزمن، وحينها بدأ الكتاب وصف كل عرض، وربطه بولادة احد الآلهة. فمثلا حينما تتقيأ أزنامي يولد من قيئها إلها امير وأميرة معادن الجبال. وبعد فترة من مرض أزنامي اقترب ازناجي منها وبدأ يبكي فتحولت دموعه إلى آلهة أنثى الدموع الباكية، وقد اشتد مرض أزنامي وماتت فدفنها أزناجي على قمة جبل هيبا.

ونلاحظ أن الأسطورة اليابانية حاولت أن تؤكد أهمية كل ظواهر الطبيعة ومنتجاتها، حتى المرض وأعراضه وافرازاته مهمة ومؤثرة في البيئة والطبيعة. كما أن لكل شيء أهمية متضادة فالنار مهمة للحياة ولكن قد تكون مدمرة، والشمس أساس الحياة ولكن قد تكون سببا لجفاف وحرق الغابات. فتلاحظ مثلا في معبد إلهة الشمس أن هناك معبدا صغيرا مقابلا لمعبد الشمس العظيم ويمثل ذلك المعبد الصغير غضب إلهة الشمس. وتعتبر المعابد المكان الذي تتردد فيه الآلهة ومن الضروري أن تقدم للآلهة الأكل ثلاث مرات يوميا، ويشترط أن يجهز الأكل باستعمال نار ناتجة من احتكاك قطعتين من الخشب فقط، كما يوجد بالمعابد مسرح تعزف به الموسيقى ويمثل فيه بعض مسرحيات فن النوه القديم وذلك لتسلية الآلهة ومنع غضبها، فيترافق غضب الآلهة بالزلازل والفيضانات والطوفان وحرق الغابات.

وتستمر القصة بوصف قيام ازناجي بقطع رأس طفلة آلهة النار، ليولد من الدم الذي لوث سيفه مجموعة من الآلهة المغلقة للصخور، كما ولد من الدم الذي لوث الجزء العلوي من السيف آلهة القبح، وولد من الرأس المقطوع الآلهة المالكة لمعابر الجبال الحقيقي، ومن الصدر الآلهة المالكة لمنحدر الجبال، ومن البطن الآلهة المالكة للجزء الداخلي من الجبال، ومن اجزائه التناسلية الآلهة المالكة للجبال القاتمة، ومن اليد اليسرى آلهة الجبال المليئة بـ«الأخشاب» والغابات، ومن اليد اليمنى الآلهة المالكة للجبال، ومن القدم اليسرى الآلهة المالكة للجزء الخارجي من الجبال. وتستمر القصة بوصف أسطورة عالم الموتى، بعد أن زار ازناجي زوجته المتوفاة ازنامي، فتخرج من القصر وتتساءل عن سبب مجيئه، فرد عليها بأنه اشتاق لها ويريد أن يأخذها معه فترفض، فيرجع ازناجي خائبا وحيدا من عالم الأموات. وتستمر الأسطورة بوصف ولادة بقية آلهة اليابان التي تقدر بأكثر من ستة ملايين، ومن أهم بنات الالهين أزنامي وازناجي هي إلهة الشمس، التي تعتبر أهم وأعلى الآلهة مرتبة، والتي كان أحد أحفادها الامبراطور جيمو، أول أباطرة اليابان، قبل الفين وستمائة وسبع وستين سنة، وتستمر هنا القصة بوصف بدء ولادة العائلة الامبراطورية اليابانية وسرد تاريخ حياتهم حتى القرن الخامس.

تلاحظ عزيزي القارئ أن مفهوم الجنس مقدس في عقيدة الشنتو اليابانية، وهناك تشبيهات مقدسة لموضوع الجنس والإنجاب، فمثلا تعتبر الأرض كالأنثى، وزرع الأرض كعملية جنسية يبذر في الأرض نطفة البذور، وكان الفلاح الياباني يحتفل في مواعيد زرع الأرض باحتفال تواصل جنسي مع زوجته فيغتسل لتطهير النفس في البحر ويختار عادة نقطة التقاء النهر بالبحر. ويمثل البحر المرأة والنهر الرجل، فيتم التقاء التواصل الجنسي بين الرجل والمرأة فيصب نطفة النهر في رحم البحر.

كما أن موضوع الجنس له مفهوم روحاني كبير في القيم والتقاليد اليابانية، والتصق هذا المفهوم بالسلوك الذهني الياباني على مر العصور، وتعاملت التجربة اليابانية بحرية مع موضوع الجنس واعتبرته أحد الحاجات الطبيعية للإنسان مع مراعاة قيود مجتمعية تقليدية ملزمة للجميع، ويتعرض الشباب الياباني لمفهوم الجنس في وقت مبكر ومع ذلك من النادر جدا أن تجد امرأة حاملا وغير متزوجة. فالشعب الياباني محافظ على مفهوم العيب والحياء، ويتعامل مع موضوع الجنس بمسؤولية مجتمعية منضبطة، كما أعطى المجتمع الياباني المرأة الحرية الكاملة في قرارها في موضوع الزواج والإنجاب. فالكثير من اليابانيات يفضلن العمل على الزواج، واذا قررت احداهن الزواج تتأكد ألا تتضارب مسؤولياتها الزوجية مع العمل، ويفضل الكثير من النساء ترك العمل في مرحلة الإنجاب. وينظر المجتمع الياباني للمرأة المتزوجة وغير المتزوجة والمنجبة وغير المنجبة للأطفال بشكل متساو وطبيعي جدا، مما يجنب النساء اليابانيات الضغوط المجتمعية التي تتعرض لها المرأة في مجتمعاتنا العربية.

ولنا لقاء.

* سفير مملكة البحرين في اليابان

# أين يقع أكبر موقع للمخلفات؟

بقلم: د. إسماعيل محمد المدني

عندما أكتب عن أكبر موقع للمخلفات الصلبة والقمامة، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو المناطق التي يتم فيها التخلص من القمامة المنزلية في البر أو على اليابسة، أو ما نطلق عليه الآن بمواقع الدفن الصحي.

ولكن اليوم أكدت الدراسات الميدانية أن أكبر موقع توجد به مخلفات صلبة، وجميع أنواع القمامة الصغيرة منها والكبيرة، والثقيلة منها والخفيفة، هو في عرض البحر، وبالتحديد في قلب المحيط الهادئ في المساحة الواقعة بين غرب قارة أمريكا من جهة وآسيا وأستراليا من جهةٍ أخرى، حتى ان مساحته الآن وصلتْ إلى قرابة ٧٠٠ ألف كيلومتر مربع وبعمق قرابة عشرة أمتار تحت سطح المحيط، أي أكبر من مساحة البحرين بنحو ٩٧٠ مرة، ويحمل في بطنه أكثر من خمسة ملايين طنٍ من كل أنواع المخلفات الطافية فوق سطح البحر أو في عمود الماء، التي قد تخطر أو لا تخطر على قلب أحد.

هذه المساحة العظيمة التي تَجَمعَت فيها المخلفات في المحيط الهادئ أُطلقُ عليها «المدفن البحري»، ويطلق عليها العلماء عادةً بقعة القمامة العظيمة (Great Pacific Garbage Patch)، وهذا المدفن البحري الكبير تم اكتشاف ما يقارب له في المساحة والحجم في المحيط الأطلسي بين برمودا وجزر أزورس البرتغالية حسب نتائج الدراسة المنشورة في ٨ مايو ٢٠١٢ في مجلة بريطانية هي «رسائل علم الأحياء» (Biology Letters).

فقد أكدت هذه الدراسة الاستكشافية العلمية ومثيلاتها من الدراسات الأخرى التي قامت بزيارات ميدانية لهذه المدافن البحرية الشاسعة، أن هذه الملايين من الأطنان من المخلفات الصلبة وشبه الصلبة، بدأت تُحدث تغيرات جذرية في النظام البيئي البحري في تلك المناطق، وبدأت الحياة الفطرية البحرية الصغيرة منها والكبيرة تتأثر بشكل مشهود وملموس.

وهذه التأثيرات ستتفاقم وتتعمق مع الزمن، حيث إن كمية هذه المخلفات في تزايد مستمر مع الوقت، فهي أصبحت الآن تحت رحمة الرياح والتيارات المائية الدوْريَّة الطبيعية في المحيط الهادئ، كأنها دخلت في سجنٍ كبيرٍ مُغلق الأبواب، ولا يمكن الخروج منه، أو كأنها دخلت في حظيرة أو «قرقور» لصيد الأسماك فلا تستطيع الخروج منها. فهناك حركة دورية ثابتة للتيارات المائية في وسط وشمال المحيط، تَدُور تارةً مع اتجاه عقرب الساعة، وتارة أخرى تسير ضد اتجاه عقرب الساعة، وهذه التيارات يُطلق عليها التيارات الشمالية للمحيط الهادئ(The North Pacific Gyre). فهذه المخلفات التي تأتي من السواحل ومن سفن الصيد والسفن التجارية تأخذ طريقاً واحداً لا رجعة فيه، وهذا الطريق هو دخولها في هذه الدائرة المغلقة لمدفن القمامة والتراكم فيها مع الوقت، كأنها دُفنت هناك وانتقلت إلى مثواها الأخير.

ومن التأثيرات السلبية التي بدأت تنكشف منذ سنوات هي التهام الأسماك والكائنات البحرية الأخرى كالسلاحف والطيور المائية للمخلفات البلاستيكية الصغيرة التي تتراكم مع الوقت في أجسامها فتؤدي إلى هلاكها فوراً، أو بعد فترة قصيرة من الزمن.

كما كشفت دراسة نُشرت مؤخراً عن حقيقة جديدة حول سلوك هذه المخلفات، حيث أفادت أن المخلفات البلاستيكية الصغيرة الحجم الموجودة في هذه المقابر الجماعية للمخلفات تعمل كالإسفنج على امتصاص المواد الكيميائية السامة التي تُصرف في البيئة البحرية، وبخاصة المركبات العضوية الثابتة والمستقرة، فتتراكم هذه السموم مع الزمن في هذه المخلفات ويزيد تركيزها، وعندما تتغذى عليها الأسماك، ثم الإنسان، تَكُون قد وصلت إلى تركيزٍ عالٍ يهدد صحة وسلامة الكائنات البحرية والإنسان إلى حد سواء.

وبالرغم من ارتفاع حدة المشكلة التي اكتشفها الإنسان عام ١٩٩٧، وتزايد خطورتها مع الزمن فان المجتمع الدولي الرسمي، ممثلاً في منظمات الأمم المتحدة، أو الدول التي يقع بجوارها هذا المدفن البحري العظيم، لم تقدم حلولاً عملية للتخلص من مقبرة المخلفات هذه، ولم تخصص أموالاً لمعالجتها، ولذلك ستتفاقم المشكلة، وتتراكم المخلفات البحرية حتى تغطي كل بحار العالم فتقضي على الحياة الفطرية فيها.

bncftpw@batelco.com.bh